

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

- ١٥ -

لقد جهد أخونا الصراوى أن يقضى ما قلت عن الراقى
فإنه بمفالمات لم يمضه منها ما يشجع به من دين وخلق
محتكرين للرائيين وأغالط يعرفها طلاب المدارس الثانوية عن
المعادن وخواصها ! ثم لم يبلغ بعد الجهد والرق التصبب إلا
كما يبلغ من تحول له : إن هذه المسألة ليست من الرياضيات
العالية ، فهي مسألة على « التواعد الأربع الأصلية » وحلها
هو كذا . نأتى لك بحل آخر ، ويظن أن ذلك يخرجها من
الحيز الضيق ، حيز التواعد الأصلية ، إلى مجال الرياضيات العالية
ذلك شأن وشأنه في تفسير كلام الراقى ، وربما كان
ختام هذه المقالات ، تفكها تلك « الصراويات » والأصمرة !

على حدود تعريفنا للشاعر الكبير ، التقينا البارحة بالعقاد
في حديثه عن الجمال ، ونحن بالطبع لم نستقص ما قال ، ولكنها
نماذج تبين الوجهة ، وتكشف عن المبدن ، وسيأتى غيرها في
« غزل العقاد »

وما نحن أولاء تلتقى به اليوم كذلك في حديثه عن « الحب »
على هذه الحدود ، بل نلحها وراءها يمسيد ، يهضب في خطواته
الجبارة ، وهو ما يكاد يلقى باله إلى الزواحف والفواحم حوله
من للتظلمين على الطريق !

يرغب بنفسه في ارتكاب ظلامه ما وأرى - وحق الكلب (١) -
أن هذه ليست بمادة مناقشة يسيرة يا جورجياس ، وإذا فلتبحث
في عمق ما يجب أن نراه في ذلك الشأن (٢)

ب - ماذا يا سقراط ؟ أعتدك حقيقة الفكرة التي قد
ذكرتها عن البيان ؟

محمد حسن ظاظا

« يتبع »

(١) كان سقراط يكثر من ترويض هذا القسم . ويرجع البعض هذا
« الكلب » للاه الصرى أنوبيس . ويلاحظ هنا التباينة المطيبة التي انتهى
سقراط إليها بشأن الخطيب الحق !

(٢) وينتهي هنا القسم الأول من المحاوراة ويبدأ القسم الأمام الذي يتناول
فيه أطلاطون طيبة العدالة والنظم ، والتي يقرر فيه أن الخطيب الذي يجمل
تمه فوق القانون ويضلل الجمهور أكثر الناس ظلاماً وشرأ « للمرب »

فما الحب عند شاعرنا الكبير ؟

إنه لن يقف به عند الهفة الظائمة ، أو الفورة المارمة ، ولا
عند الحنين والدموع ، أو الفرحة والاستمتاع . فالحب بمد هذا
وذلك وشأن الحياة الكبرى ، ومسارب في الكون والطبيعة ،
ومدارج وملاعب في ساحة الخلود

وليس هو إحساساً في نفس فرد ، ولكنه فورة وقوة في
نفس كون ، ودفعة ومضطرب في ضمير دنيا ، وحياة وحركة
في قلب وجود

وليس هو مصادفة عابرة ، ولا فلتة غير مقصودة ، ولكنه
نظام وقصد ، تهيئهما الأقدار لبلوغ مآرب وغايات ، ولتحقيق
آمال وخيالات

والنفس الكبيرة التي يحملها العقاد ، والقلوب المنفضحة
التي وهبت لأمثاله ، إنما هي ممارض يبدى فيها هذا الحب فنونه
ويلب أدواره ويقرب فيها من فياته ، ويحقق أحلامه في أنسب
الظروف والأحوال !

فالحب تمهيد للخلود ، ومران على حياة الخالدين ، حتى
لا يفاجأ القاتون بهذه الحياة ، على بمد النقلة والشقة بين الحياتين !
هذه الليالي الدنيوية تفحة من عالم الملكوت والأعراف
لولا التميم بها لما خطرت لنا مثل التميم بجنة ألقاف
ولهذا يتيقظ المحبون ، ويمافون النوم . أليس النوم راحة
لأهل الفناء من المتعب وتجديداً لتوأم المنخلة في كد العيشة ،
فما شأنه في اللحظات القبوسة من التميم الخالد

يقظة الحب من خلود وماذا يصنع النوم بين أهل الخلود ؟
وإذا ذقت من موائد هذا الحب ب قالنوم من فئات المبيد
والحياة والأحياء ، إنما كانوا ينزعون للخلود ، وينتمون
الدوام ، فلما عثر عليهم الطلب ، وأبت طبيعتهم ما يطلبون ، عوضوا
عنه بالحب ، فكان عوضاً كاملاً شائقاً تتناه الخالدون !

ما الحب ، ما الحب ؟ إلا أنه يدل من الخلود فما أغلاه من بدل
زهي به حين يزهي الخالدون بما قاله من أبد باق ومن أزل
داموا فلما تقاضينا الدوام لنا

قالوا لنا : « حسبكم بالحب من أمل »

داموا وقد جسدونا في سعادتهم على السعادة بين الموت والقبل
وفي هذا الاحساس الفريد، يلتقي الشاعر الكبير، بالعالم
الفكر، بالفيلسوف العظيم، وتصح نظرة كل منهم في الحب،
وغاية الطبيعة منه، وذلك حد البقرية في الفنون
ويصح أن نتبع بما سبق قوله :

فأم رباننا وهما بييدا فامض يا فلك في يدي « كوييد »
واتبعه فالكون أجمع يا فلك لتي في يمين هذا الوليد
هو ربان هذه الأرض فأمنه على ملكك الصنير الزهيد
وتعلم منه عبور السماوات فادون سبحة من بييد
وإذا كان الجمال كما قدمنا آنفاً هو خلاصة آمال الوجود
وأشواقه، فحب هذا الجمال حب للوجود، ما كان منه ومن كان.
والمائق للجمال معائق للفضاء بأسره بما فيه من أنواع وأطباع.
ومن يمش في بحبوبة الحب فأنما يعيش في الكون كله، فهو مدار
العالم. يتضح كل ذلك في قصائد متفرقة :

إنما لن معشر حب الجمال لهم حبلاً كان في الدنيا ومن كانوا
وأنا المائق للفضاء بأسره في جسم أغيد كالندي شفاف
نحن في بحبوبة الحب وهل غير هذا الحب في الكون مداراً؟
والحب رفة للنفس، وتقل إلى عالم النجوم، وعمق في
الحبوبة تطول به الأعمار، وإينال في المجهل والآباد واليهود
والأزمان

« لقد تمودنا أن نحسب الملاقة بين الذكر والأنثى أصلاً
للحب بجميع صنوفه وألوانه، ولكننا إذا واجهنا الحقيقة من
وجهة أم وأعمق، تبين لنا أن هذا الحب بين الذكر والأنثى هو
فروع طاري من أصل إلهي قديم شامل للوجودات، مستقر
في طبيعة الوجود، هو حب الكمال والدوام، وليس الحب بين
الذكر والأنثى غاية في ذاته، وإنما هو واسطة من وسائط هذا
الحب الأسيل »

كم علونا من دارة بعد أخرى وطوبنا المهود بمد المهود
والحب من ينش ركبته يسار النجم كل حين
لحظة ترفع عمري حقا متصلات
رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات
لحظة لا بل خلود لاح بين اللحظات
كالسموات تراها في شباك الحلقات
رب آباد تجت من كوي مختلفات
وقطيرات زمان ملأت كأس حياة

وإني لأكتفي في هذه النماذج، بما سقتها من أجله؛ وإلا
فوراء هذا مجال واسع لبيان الطرافة في الحس والتعبير، وفي رؤية
الخلود من خلال هذه اللحظات، كالأباد تتجلى من كوي مختلفات
أو كلقطيرات التي تمتلئ بها الكأس، وهي قطيرات زمان
فاضت بها كأس حياة ...
والحب قدرة قادرة، تهب أحبابها مشابه من الألوهة،
ومقابس من النبوة، وتنضح بالمجزرة. لا، بل إنها تهب في بعض
الأحيان مالا تهبه الأقدار :
ليس مكان في السماء كلها عن شاعر أو عاشق بنساء

أتحلمين بشئ كامل أبدأ أتم من عالم في قاب رحبين ؟
« فالكمال » المنشود في الحب صنو « الخلود » أو غايته
أو وسيلته: فهو صنوه لأنه غرض مثله من أغراض الحياة؛ وهو
غايته، لأن الحياة إنما تريد الدوام لتتأهب به للكمال؛ وهو وسيلته،
لأن الحياة لن تنال الخلود وهي ناقصة متحيفة الجوانب والأجزاء
وهو هذا كله في حس الشاعر اللهم بما في ضمير الأكوان والآباد
ويكمل هذه النظرة ويشرحها حديثه في كتاب « مراجعات
في الآداب والفنون » في فصل : « الزهر والحب » :

والحب قد احتضن الحياة وهي جنين، حتى إذا برزت
للوجود أخذ بيدها وقادها في مسالك الطبيعة، وحاول أن يسمو
بها عن منبتها وينزع بها إلى الخلد والسماء :
هي الحياة جنين الحب من قدم

لولا « التجاذب » ما ضمتك أكوان
والتجاذب بين « الالكترن » و « البروتون » يقوم عليه
بناء الذرة، فتبني على أساسها الأكوان. ولم يكن المقاد في حاجة
للمعلم بهذه النظرية التي أثبتتها أخيراً « تحطيم الذرة » ليقول إن
الحياة جنين الحب، ولكنها الشاعرية الكبيرة تنساح في تيارها
المعلوم والثقافات حتى تمود جزءاً منها لا يهاز عن طبيعتها وماهيتها
والحب يقود هذه الأرض، وينزع بها عن منشأها، ولهذا
ينادي ربان الزورق النائم، وهو في سبحة من سبحات الحب :

وإني لأكتفي في هذه النماذج، بما سقتها من أجله؛ وإلا
فوراء هذا مجال واسع لبيان الطرافة في الحس والتعبير، وفي رؤية
الخلود من خلال هذه اللحظات، كالأباد تتجلى من كوي مختلفات
أو كلقطيرات التي تمتلئ بها الكأس، وهي قطيرات زمان
فاضت بها كأس حياة ...
والحب قدرة قادرة، تهب أحبابها مشابه من الألوهة،
ومقابس من النبوة، وتنضح بالمجزرة. لا، بل إنها تهب في بعض
الأحيان مالا تهبه الأقدار :
ليس مكان في السماء كلها عن شاعر أو عاشق بنساء

- يجتاحيه من الحب ومن
داووق داووق فقد كان عيسى
وكلا الحب والعبادة وحى
أسميت أنظر لا أرى أمنية
تبسم ألا يرضيك أن ابتسامه
والحب بهذه القدرة يحمل الحياة ويجدها ، ويخلق منها
دنيا بعد دنيا، وكوناً وراء كون :
- انظر فهل تجد الروح كمهدى
وحى السماء أم ارتقت أجوازاها
في التور آلافاً على آلافاً ؟
ويقول في أبيات بعنوان « معنى جديد » :
- قد شهدتُ الزمان في كل وجه
وختمت الدنيا ! فما من قديم
فأذا للحياة معنى جديد
ذاك معناك أنت حين وهبت الـ
ومتحت الحب الالهى حباً
وكسوت الحسن السماوى حسناً
وفي قصيدة بعنوان : « جمال يتجدد »
- كلا قلت لى الربيع جميل
محيلاً لى . بل العجيبه عندى
خلتني فد وعينهن عيال
شاعراً عاشقاً وقارى كُتب
فأذا نظرة بلحظك تبسدى
بعداد الأنوار فى أعين الحُلب نمد الأكوان والأجيالا
وبعض هذا كان يمكن سوقه فى مرض الحديث عن «الجمال»
ولكن التفرقة بين حديث الحب وحديث الجمال فى النفس
الشاعرة ليس بمستطاع فى كل الأحوال ، وكلاهما مادة واحدة فى
الحس والخيال
- ويحسن أن تتبع حديث الشعر بحديث النثر، وكلاهما يتساوق
ويتكامل فى فن المقاد . يقول فى كتاب المراجعات من فصل
بمنوان : « أصل الجمال فى نظر العلم » :
- « وما لا امرأ فيه أن الحب يزينا من فتنة الحياة ما لا تراه
ينيره وأن جمال المرأة أعلى محاسن هذه الدنيا المشهودة . بيد أن
الحب لا يخلق فتنة الحياة؛ وليس جمال المرأة هو كل ما فى الدنيا
- من المحاسن ، ولكنهما يصبئان الدنيا بهذه الصبئة لأنهما
يوقظان القلب ويذكبان الشعور ويمشان كوامن الوجدان فيفتح
لما حوله، ويرى ما لم يكن يراه ، ويستوعب ما كان يلحجه بطرف
العين ، ويستحسن ما كان فى غفلته عن حسنه قبل أن تتراءى
الدنيا لخواطره فى ثوبها الجديد . وكذلك تفعل الخمر حين تركض
بالشعور وتلهب الدم فأثا ترى النشوان من المحاسن ما لم يكن يراه
فى صحوه وتضاعف إحساسه وعطفه فيشعر بمرور هذا المطف
فى داخل نفسه ويشعر فى الدنيا بهجة تخفى على من حوله؛ ولذلك
قيل إن الحب سكر أو أنه ضرب من الجنون»
- والحب ملخص للأحاسيس الإنسانية فى نفس الشاعر
غض عينيك قليلا واستمد
كم ترى من خفقة غنت بها
كم ترى من قبلة رنت بها
كم ترى من نشوة حامت بنا
هو « حب » فإذا فرقتك فهو ما راع قديماً وروع
وراء دلالة هذه الأبيات على ما أوردتها له تلح ملكة
التشخيص والتصوير ، وهى تعمل عملها فى نفس الشاعر وتخلق
له من لحظات حبه شخصاً ماثلة فى ضميره ، يفيض عينيه من
الدنيا الظاهرة ليتملأها ويستمتع بها واحدة واحدة ، ويمسق
بهذا شمة الحب ، ويجوف خطرته
- ولا نفس وراء ذلك كله هذا الخيال الطريف الذى يصور
« العام » وهو ينظر فى الأفق الواسع ، سروراً بالخط والانتباه
والاعجاب :
- والحب معلم ، يهب الحس فطانة ، والروح فثاذا ، والفكر
يقظة، وفيه مهرب من الحياة إذا سادت إلى دنيا جديدة :
- إذا سادت الدنيا فى الحب مهرب
فبالحب تدرى الحسن والتبجح عندها
وفى الحب علم لا تعلمه الكتب
والحب هو الذى يعمر القلب ويحييه ، وحين يخلو القلب منه
ينتهي إلى عالم خراب ، وجذب كجذب اليباب :
- هو الحب الذى يهـ مر هذا القلب لا المجد

مولد أرب الراقص

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

- ٦ -

لعل من الخير أن ننظر نظرة في الأمور التي تشبه أن تكون
أصولاً في النقد عند صاحب مقالات « بين المقاد والراقص »
والتي يمكن استنباطها من كلامه

ولعل من أبرز هذه الأصول ما يصح أن يسمى بالعلمية. ولنا
نريد بالعلمية هنا عملية التفكير، فقد وزناه من ناحية عملية التفكير
فلم نجد منها في شيء؛ إنما نريد بها هنا عملية الأفكار. فصاحب
تلك المقالات مجرب جداً فيها يبدو بالعلم وبما يمكن أن يدخله
الأديب في أدبه من النظريات أو الحقائق العلمية. ترف ذلك من
طبيعة أكثر الأمثلة التي ضربها لتفوق المقاد عنده على الراقص،
وتعرفه من تحشيمه نفسه قراءة ما قرأ من الباحث العلمية المنقولة
إلى العربية كي يرق كما يقول إلى محاولة استيعاب المقاد. وهذه
اللزعة إلى العلم نزعاً تشكر فيه لولا ما يفسدها عليه في الموضوع
الذي هو بصده من تعصب للمقاد يجعله يتلقى كل ما يرد أو يتوهم
أنه ورد على قلم المقاد من الأفكار العلمية كما يتلقى الوحي بالتسليم
والأكبار المطلقين

والمثال الأول الذي ضربه لاحتياج الناظر في أدب المقاد إلى
ألوان من الثقافة كالتي استمدتها هو من قراءاته العلمية قطعة
من « وحى الأربعين » عنوانها « سعادة في ققم ». وقد تساءل بمد
أن ذكر آياتها التسمية « هل فهم الراقصون شيئاً من هذه
القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة؟ ». وما نظن
الراقصين أو غير الراقصين يفهمون من مرماها شيئاً حتى يلبثوا
البيت السادس منها

بسر على شفتي فأن يباح إلى شفتي منرم

وهو بيت رقيق ليس في القطعة كلها مظهر للشاعرية غيره،
إذا بلته القاري ظن أن القطعة كتبت في قبلة، لأن السر الذي

حبك إن أخل منه يوماً خلوت في عالم خراب
يمر بي اليوم لا أراك كما يمر بالأرض عامها القاحل
وهو ليس دموعاً ولا آهات، وليس ابتسامات وتثنيات :
إنما الحب شراب عاصف يسكر الراوي من والظاء
لهذا كله فالكون والحياة حفيان بالحب، يستقبلانه بما فيهما
من سرور وابتهاج، وبهتان له من الطرافة والجدة كل خمين
مذخور، وينذلان له من كتوزها وأسرارها ما لا يباح، ويمترقان
بحقه عليهما وفضله :

وهو يقول من قصيدة عن يوم لقاء :

قال : سبوتى زائراً في غد يا لند كيف غد يشرق
بالشمس؟ أم شمس غد وحده مذخورة من أجله تخلق
كيا ترى الدنيا، وما شأنها سريلها البتذلل الخلق
في حيلة لا تتحل بها إلا لمن يمشق أو يمشق
وفي قصيدة بعنوان عروس الليالي :

عروس الليالي نهبط اليوم من هل وتدنو على طول النوى والتدلل
سرت بين شرق من ضياء ومغرب

وبين جنوب من ضياء وشمال
ولما سألت الحياة جواز المرور بها، لم يجد أحظى لديها من
الحب يفتح منها للتاليق والستور :

قالت جوازك قلت هالك حب أقال به رضاك
فدخلت في حذر الحياة وراء ألقاف الشباك

هذا هو « الحب » عند المقاد : عالم متراخي الأطراف، وفن
من أعجب فنون الحياة، وبجمال للخيال والحس والتعبير على غير مثال
ونحن نبيدها مرة أخرى : لو أن شاعراً قال هذا وسكت
لجاوز حد الشاعر الكبير

وعلى هدى من رأي في الجمال، ورأي في الحب، سنتحدث
عن « غزل المقاد ». وإن كان كثير من سيتساءلون الآن :
ماذا سيقول غير ما قال؟ وستجيبهم بمد قليل : تلك أوليات المقال

سيد قطب

« حلوان »